

{ لإيلاف قريش } (1)

{ لإيلاف قريش } متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالإيلاف تعديّة الألف مصدر من المبنى للمفعول مضاف إلى مفعوله الأول مطلقا عن المفعول الثاني الذي هو الرحلة كما قيد به في الإيلاف الثاني يقال الفت الشيء بالقصر وآفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الألف والإيلاف لازما ويقال أيضا آفته غيري بالمد أي ألزمته إياه وجعلته يألفه فيكون متعديا قال في تاج المصادر الإيلاف ألف دادن وألف كرفتن. وضد الإيلاف والإيناس هو الإيحاء وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما في مصحف أبي رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الإيلاف بمعنى الألف اللازم فالمعنى أبي اهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هايتن الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا إياها ويثبتوا عليهما متصلا لا منقطعا بحيث إذ فرغا و من ذه اخذوا في ذه وبالعكس وذلك لان الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك تهيؤوا لهم زيادة نهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم احد فينتظم لهم إلا من في رحلتهم وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك أن قريشا إذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على

ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيباً في قريش فقال
إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتذلون وانتم أهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لكم
تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني أبي علي الرحلتين في
الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام لأن بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام
مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغنى قسم بينه وبين فقرائهم
حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنوا أبي
أكثر مالا ولا اعز من قريش وكان هاشم أول من حمل السمراء من الشام وقريش ولد
النضر بن كنانة ومن لم يلدته فليس بقريشي سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في
البحر تعبت بالسفن وتقلبها وتضربها فتكسرهما ولا تطاق إلا بالنار فشبها بها لأنها
تأكل ولا تؤكل وتعلوا ولا تعلق والتصغير للتعظيم فكأنه قيل قريش عظيم وقال بعضهم
إلا وجه أن التصغير على حقيقته لأنه إذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر
حجمه جعل قرشا فهو لا محالة قريش وفيه أن جعل قريش قريشا لم يكن لمناسبة الحجم
بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبة وهذان الوصفان
يوجدان في تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير إلا العظيم قال الزمخشري
سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بني شيبه يصف لي القرش فقال هو
مدور الخلقه كما بين مقامنا هذا إلى الكعبة ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا
يدر شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه كالبرق وكل شيء عنده قليل
إلى النار و به سميت قريش قال الشاعر

{ لِإِيْلَافِ قُرَيْشِ }

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي جناحين ريشا

يأكلون البلاد أكلا كميشا

هكذا في البلاد حتى قريش

يكثر القتل فيهموا والخوشا

ولهم آخر الزمان نبي

الخنوش الخدوش واکلا كميشا أي سريعا وفي القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمع من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض ومنه قريش لتجمعهم إلى الحرم أو لأنهم كانوا يتقرشون البيعات فيشترونها أو لان النضر ابن كنانة اجتمع في ثوبه يوما فقالوا تقرش أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أي شديد أو لان قصيا كان يقال له القريشي أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها أو سميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها أو سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشي وقريشي انتهى.

{ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } (2)

{ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } بدل من الأول ورحلة مفعول به لإيلافهم وهي بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل إليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية ثم استعمل في كل سير وارتحال وإفرادها مع انه أراد رحلتي الشتاء والصيف لأمن الإلباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولا ثم أبدال المقيد منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف وفي القاموس الشتاء احد أرباع الأزمنة والموضع المشتى والصيف القيظ أو بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل.

{ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } * { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } (

3-4)

{ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم } بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة إبراهيم عليه السلام يجي إليه ثمرات كل شيء { من جوع } شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم إلى أن جمعهم عمرو العلى وهو هاشم المذكور على الرحلتين قالوا أبو حيان من ههنا للتعليل أي لأجل الجوع وقال سعدي المفتي الجوع لا يجامع الإطعام والظاهر أنها للبدلية.

يقول الفقير الظاهر أن مآل المعنى نجاحهم من الجوع بسبب الإطعام والترزيق { وآمنهم من خوف } عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسائرهم وقال صاحب الكشاف الفرق بين عن ومن أن عن يقتضى حصول جوع قدر زال بالإطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لا ابتداء الغاية والمعنى أطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه إياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم كما في الكاشف وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أي ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم و الحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أي على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبدوا احد غيرهم ونزلت فيهم

سورة من القرآن لم يكذر فيها احد غيرهم لإيلاف قريش و تسمية لإيلاف قريش سورة
يرد ما قيل إن سورة الفيل وإيلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون
غيرهم في تلك المدة.

يقول الفقير أشار بقريش إلى النفس المشوكة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة في البلد
الإنساني الذي هو مكة الوجود وبالشتاء إلى القهر والجلال وابل صيف إلى اللطف
والجمال وأغنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف
والجمال القدرة والقوة لان المطلوف به صاحب التمكين فأما عجز النفس وضعفها
فعند عدم مساعدة هواها وأما قوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهي وصفاتها ترتحل
عند العجز والضعف إلى بمن المعقولات لأنها في جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة
ترتحل إلى شأم المحسوسات لأنها في جانب شمال القلب الذي يلي الصدر فهي تتقلب
بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بأن تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول
القلب كالفلاسفة المتوغلة في المعقولات والفرعنة المنهمكة في المحسوسات ولذا قال
تعالى فليعبدوا رب هذا البيت إلى بيت القلب الذي هو الكعبة الحقيقية لأنها مطاف
الواردات والإلهامات ومن ضرورة العبادة له الإقرار برسالة رسول الهدى الذي هو
القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لإضافة الرب إليه فما ظنك بعظمة الرب وجلاله
وهيبته ورب القلب هو الاسم لجامع المحيط بجميع الأسماء والصفات وهو الاسم الأعظم
الذي نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلمية والغيبية أمروا بأن يكونوا تحت
هذا الاسم لا تحت الأسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود
فان الأسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الإطلاق ومن ثمة بعث النبي
عليه السلام في أم البلاد إشارة إلى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى

أزال عنهم جوع العلوم والفيوض وأطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان
نفس الجاهل كالميت ولا شك أن الأحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الإلهام
من الله العلام.